الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري

تأليف الاستاذ الدكتور
محمد حسن مهدي بخيت
أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر
وجامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردنية

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عن أي طريق، سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أم بالتصوير، أم بالتسجيل، أم بخلاف ذلك دون الحصول على إذن المؤلف و الناشر الخطي وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية.

الطبعة الأولى

2011 – 2012م

المملكة الأردنية الهاشمية رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (1651/ 2011/4)

245

مهدي، محمد حسن

الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري / محمد حسن مهدي.

- عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2011

(364) ص.

ر.إ.: (2011/4/1651).

الواصفات:/ دفع المطاعن عن الإسلام // الاستشارق/

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-02-440-6 (ردمك)

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

تليفاكس : ٥٣٤٩٤٩٧ – ٥٣٤٩٤٩٩

ص . ب ١٧٥٨ الرمز ١١٩٤١

عمان - الاردن

Dar Majdalawi Pub.& Dis.

Telefax: 5349497 - 5349499

P.O.Box: 1758 Code 11941

Amman- Jordan

www.majdalawibooks.com

E -mail: customer@majdalawibooks.com

- الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر الدار الناشرة.
- الغلاف تصميم الدكتور بلاسم محمد

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفة
المقدمة	7
التمهيد: التعريف بالغزو الفكري	17
الفصل الأول	
الاستشراق وأثره على الإسلام والدراسات الإسلامية	
تمهيد	29
المبحث الأول: مفهوم الاستشراق	33
المبحث الثاني: نشأته وتطوره	37
المبحث الثالث: مراحله	43
المبحث الرابع: بواعث الاستشراق	63
المبحث الخامس: أهداف الاستشراق	75
المبحث السادس: وسائل الاستشراق	83
المبحث السابع: أصناف المستشرقين وفئاتهم.	93
- نماذج من المستشرقين الخطرين	99
- نماذج من تلاميذ المستشرقين	107
المبحث الثامن: افتراءات المستشرقين حول الإسلام وأهم قضاياه، ويشتمل على تمهيد وسبعة مطالب:	113
المطلب الأول: ما أثير حول القرآن الكريم من شبهات والرد عليها	116
المطلب الثاني: ما أثير حول السنة النبوية من شبهات	145

الموضوع	الصفة
والرد عليها	
المطلب الثالث: ما أثير حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) من شبهات والرد عليها	159
المطلب الرابع: ما أثير حول الشريعة الإسلامية من شبهات والرد عليها	175
المطلب الخامس: ما أثير حول مفهوم عالمية الإسلام من شبهات والرد عليها	183
المطلب السادس: ما أثير حول ظاهرة انتشار الإسلام من شبهات والرد عليها.	188
المطلب السابع: ما أثير حول اللغة العربية والفلسفة الإسلامية والرد عليها.	200
تعليق وتعقيب	203
الفصل الثاني	
التبشير وخطره على الإسلام ويشتمل على تمهيد وتسعة مباحث:	
تمهيد	227
المبحث الأول: مفهوم التبشير	229
المبحث الثاني: صلة التبشير بالاستشراق والاستعمار	233
المبحث الثالث: نشأته وتطوره	239
المبحث الرابع: أسبابه وبواعثه	251

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس: أهدافه	259
المبحث السادس: وسائله وأساليبه	273
المبحث السابع: نماذج من المؤتمرات التبشيرية الخطرة	311
المبحث الثامن: آثار الغزو الفكري التبشيري	323
المبحث التاسع: الإسلام في مواجهة الغزو الفكري	327
الخاتمة	341
قائمة المصادر والمراجع	351

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله، صلى الله عليه وسلم، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، فلك الحمد يا رب، هديت قلوب المؤمنين بالإيمان بك، فقلت وقولك الحق: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[1]. وشرحت صدور المسلمين بنورك فقلت: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[2]، وجمعتهم على كلمة سواء فلم يعبدوا غيرك، ولم يعرفوا رباً سواك، فقلت في كتابك العزيز: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3].

وأصلي وأسلم على الرسول الخاتم والنبي الأعظم، الذي أرسلته على فترة من الرسل بعد أن ضلت الإنسانية طريق الرشاد والحق، وتخبطت في ظلمات الجهل والشرك، فكان صلوات الله وسلامه عليه نوراً وهداية للخلق أجمعين، وزودته بكتاب مبين يهدي إلى الحق وطريق مستقيم، فلك الحمد يا رب على ما هديت، ولك الثناء والشكر على ما أنعمت به علينا وأوليت.

وبعد:

فقد تتابعت رسالات الحق تبارك وتعالى للبشر على مر الأجيال حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وحتى يكون بين يدي الناس نور الله هادياً لهم

---

[1] سورة التغابن آية: 11.

[2] سورة الزمر آية: 22.

[3] سورة الإخلاص كاملة.

إلى الحجة الواضحة، والطريق السوي، وكانت رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة كما صرح بذلك الحق تبارك وتعالى في قرآنه المجيد حيث قال وقوله الحق: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1]، وبهذا الإعلان الواضح قطع الطريق على كل مدع ومخادع يتخذ من مسرح النبوة مظهراً يخفي وراءه بعض أهدافه ومآربه الهابطة المنحرفة.

وديار الإسلام كانت ولا تزال مسرحاً لحملات الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري، حيث تهب علينا الرياح السامة من الغرب تارة ومن الشرق تارة أخرى، بل ربما انفجرت براكين هذه السموم من داخل بلاد الإسلام نفسها، فتكون أشد خطراً وأبلغ أثراً، وعلى مدى أربعة عشر قرناً من الزمان لم تسلم البلاد الإسلامية من المحاولات المعادية للإسلام وأهله، بكل أساليب الحرب الفكرية، أملاً في زعزعة العقيدة في نفوس البعض، والقضاء عليها كلية إن أمكن في نفوس البعض الآخر.

وليس بخاف ما لقيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الأبرار، رضي الله عنهم، من صنوف النعت من أعداء الدين الإسلامي في مبدأ الدعوة الإسلامية، بل توالت صنوف كيدهم إلى أن بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فارتد كيد الكائدين إلى نحرهم، بفضل تفاني المسلمين في التأسي بتوجيه حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في كل صغير وكبير.

وكانت مصابرة الصحابة – رضي الله عنهم – ومثابرتهم في سبيل الذب عن دين الله والدفاع عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فوق كل وصف حتى شمل النور، وبرزت هذه الأمة حاملة لمشعل الهداية تنشر الدين الإسلامي في شعوب

---

[1] الأحزاب آية: 40.

العالم حتى تم ما تم مما بهر عيون البشر وما زلنا به نفخر، ولا عجب إذ لقينا بعض أتعاب في سبيل الله في آخر الزمن، ولا طريق إلى التغلب على تلك المتاعب إلا باتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، أسوة حسنة في وجوه المثابرة إزاء الأحداث، فاستذكار صنوف الكيد من الأعداء يجعلنا نأخذ حذرنا وأسلحتنا في كل موقف بما يناسبه.

ألا وإن خطر ما تعرضت وتتعرض له العقيدة الإسلامية إلى يومنا هذا هو تلكم الدعوات الإلحادية المنحرفة التي نبتت وترعرعت في ديار المسلمين، ولقد ظهرت هذه الدعوات المعادية للإسلام في مختلف العصور تحت أسماء شتى، ومنذ لحق الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالرفيق الأعلى وتولي خليفته الراشد أبو بكر الصديق، رضي الله عنه أمر المسلمين من بعده، كانت حركة المرتدين أبلغ دليل على اشتعال نار الحقد في قلوب أعداء الله، وإعلانهم التمرد على أوامره ونواهيه في سفور فاضح ومجاهرة بالعصيان لا تعرف الحياء، ويومها سميت "ردة".

وأما بعد ذلك فإن كل حركة معادية للإسلام كانت تتستر وراء اسم زعيمها ولكن حينما يناقشها العلماء لا تلبث أن تكشف القناع المزيف وتمزق الخيوط الدقيقة فيظهر الوجه القبيح على حقيقته، وحينئذ يطلق العلماء عليها الاسم الحقيقي، وهو الإلحاد، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾[1].

هذا الجو المضطرب فكرياً وسياسياً أتاح الفرصة لظهور الأفكار الهدامة والتيارات المنحرفة التي ظهرت في البلاد الإسلامية[2]. ولم تكن حملات الصليبيين وأساطيل الاستعمار إلا جزءاً من مخطط كبير لحرث الأرض وتمهيد

---

[1] فصلت آية: 40.

[2] بين البهائية والماسونية ص11: 12.

التربة لبذر بذور الإلحاد، وبث العقائد والأفكار الهدامة للإسلام جهاراً نهاراً، ولكن الحق تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ دينه، وجعل من قوة الإسلام الذاتية عنصر بقائه مهما تآمر الملحدون وتغنى الجبابرة الظالمون، فكان دائماً الصخرة التي تحطم كل الموجات العاتية فتردها على أعقابها مهزومة خاسرة، وتبقى رسالة الإسلام خالدة شامخة يشع نورها في العالمين وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

فمما لا شك فيه أن العالم الإسلامي هدف لمخطط رهيب، وغرض لمطامع قوى حاقدة كالصليبية والشيوعية والصهيونية، وغيرهم ممن يضمرون العداوة للإسلام وأهله، ولقد كان في الماضي الغزو العسكري هو السبيل الوحيد إلى تحقيق هذه الغاية، أما في العصر الراهن فهناك طريقة أخرى لكسر العالم الإسلامي من داخله، وقد وضعت هذه الطريقة في اعتبارها الأول الغزو الفكري بوسائله المختلفة، وباعتباره الأسلوب المتطور والملائم لطبيعة عصر بات فيه أسلوب الاستعمار الاستيطاني، والاحتلال العسكري بقوة السلاح من الأمور التي تضر بالغزاة أكثر مما تحقق لهم أهدافهم، لأن أبسط ما تخلفه أنها تحرك في الشعوب المغزوة – في أحيان كثيرة – عاطفة الولاء للوطن، وتحرك فيهم حسن العمل من أجل الاستقلال والتحرر، ومن هنا كان التغيير الجديد في استراتيجية الغزاة بأن يتخلوا عن استعمار الأراضي ويستعمروا بدلها العقول والقلوب، وذلك ما تُعورف على تسميته "بالغزو الفكري"، وهو أخطر ألف مرة من أساليب الاستعمار السابقة، العسكرية والسياسية، لأن نجاح الغزو الفكري للعقول والقلوب المسلمة، معناه الإجهاز نهائياً وبطريقة ماكرة على كل أثر يمكن أن يصنعه الإسلام في حياة الفرد أو حياة الأمة، وذلك

---

[1] الحجر آية: 9

أقصى ما يطمح الغزاة إليه، لأنهم يدركوا سلفاً مدى استمساك المسلم بدينه، واستحالة تخليه عنه، ومن ثم فهم يكتفون من نتائج الغزو الفكري بأن يشلوا فاعلية الإسلام في حياة المسلم، ويتركوه في الحال التعسة لا هو مسلم ولا هو غير مسلم، لأن النتيجة النهائية ستكون لحسابهم في كل الأحوال.

ويحضرني في هذا المعنى ما ذكر عن المبشر "زويمر" حينما عقدوا أحد مؤتمراتهم التبشيرية لتقويم الجهد الذي تبذله الإرساليات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وقف أحدهم ليهاجم "زويمر" باعتباره المشرف المسؤول عن جهاز التبشير وليتهمه بالفشل، وكانت حجة هذا الرجل أنه على الرغم مما أنفق من مال وما بذل من جهود فإنه لم يدخل المسيحية شخص واحد، ولم تنجح الجهود جميعاً في صرف مسلم واحد عن عقيدته، فأجاب "زويمر" قائلاً: بأن تنصير المسلمين ليس غايتنا، لأننا لا نستطيعه ولكن الغاية هي أن نبعد المسلمين عن الإسلام، وحسبنا ذلك ولو لم ينضموا إلى صفوفنا[1]، وهكذا يؤكد ما قررناه من أن الغزو الفكري أخطر على أمتنا من الغزو بالجيوش والسلاح، ومن كل استعمار مهما يكون لونه.

والغزو الفكري، إنما يمتد ابتداء من داخل الأمة، الفاقدة للمعيار ومركز الرؤية، الذي تعرف في ضوئه ماذا تأخذ وماذا تدع، فكيف والحالة هذه يمكن أن تسقط الأمة المسلمة ثقافياً وحضارياً؟ لذلك تتركز اليوم وسائل الغزو الفكري في محاولة إخراج الأمة عن دينها وقيمها المعيارية، لتصبح مهيأة لتقبل ما يلقى إليها، دون القدرة على اختباره ومعايرته بالشكل المطلوب.

ولعل أخطر وسائل الغزو الفكري، إنما تكمن في محاولات الاختراق

---

[1] الغزو الفكري أهدافه ووسائله، د. عبد الصبور مرزوق، ص10-11، ط: رابطة العالم الإسلامي 1394هـ.

للمؤسسات الإسلامية، ومواقع العمل الإسلامي ومحاولة الانحراف بها من الداخل، لإخراجها من الإسلام أو لحملها على ممارسات تشوه صورتها، تأتي نتيجة للضغوط الاجتماعية، وردود الأفعال في محاولة لتشويه البديل الإسلامي المأمول، بعد أن سقطت القيم الثقافية والسياسية التي تغرى بالحضارة الغربية، وتبين أن طرحها في البلاد الإسلامية كان لوناً من الغزو الفكري، الذي عمل على ما شغل الناس بكل ما هو بعيد عن الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام.

ولا يخفى على أحد أن الاتجاهات الغازية تعمل بكل ما تملك من إمكانات على غزو المجتمعات الإسلامية غزوا يفتت الأمة ويضعف من انطلاقها، ويقيد حركتها ويبعدها عن الواقع، ولا زال الغزو الفكري يستهدف الجذور ويركز على تشويه الأصول.

والغزو الفكري الذي نحن بصدد الحديث عنه، يشمل كل المذاهب والاتجاهات الهدامة التي أسهمت في غزو العالم الإسلامي فكرياً وثقافياً في العصر الحديث كالماسونية والعلمانية والوجودية. – وقد تناولت هذه الاتجاهات بالدراسة والبحث في كتاب تحت عنوان: "التيارات الفكرية المعاصرة وخطرها على الإسلام" – والاستشراق والتبشير..الخ.

وقد أفردت هذا البحث للحديث عن الاستشراق والتبشير لما لهما من خطورة على الساحة الفكرية الإسلامية، فالفكر الاستشراقي يمثل قوة باغية من القوى المضادة للإسلام والمسلمين، فمنذ نشأته قد وضع نفسه في خدمة الأهداف المشبوهة، والتي تعمل لإذابة المسلمين وانسلاخهم عن شخصيتهم الإسلامية، وما فتئت مدارس الاستشراق تعد التقارير والدراسات لكل ما هو إسلامي ويتصل بالمسلمين وتضع كل ذلك أمام المعاهد الصليبية والصهيونية، ليكون القرار السياسي الذي يتخذ حيال القضايا

الإسلامية قائماً على ما جاء بها.

والاستشراق في مفهومه ينسحب على كل فكر غربي أو شرقي غير إسلامي، عرض لتراث الشرق الديني والحضاري، وبخاصة الشرق الإسلامي بالدراسة والبحث، ويعد هذا الفكر ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر الإنساني، فلم يعهد أن توافر مثل هذا الجمع الغفير من الباحثين على دراسة دين لا يؤمن به كما فعل المستشرقون بالإسلام.

والتبشير حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين المسلمين، بهدف إحكام السيطرة عليهم وإبعادهم عن الإسلام. والتبشير بما له من أبعاد دينية واجتماعية وأخلاقية وسياسية وغيرها، وجد من الغرب المسيحي المستعمر الاهتمام البالغ والجدية الفائقة والجهد الجبار الذي بلغ أقصاه، وذلك من أجل السيطرة على الشرق الإسلامي بالكلية والوقوف أمام انتشار الإسلام بكل الأساليب والوسائل، حتى يمنعوا هذا الانتشار ويوقفوا زحفه التلقائي الذي كان يتقدم به رغم عدم وجود الدعاة القادرين على ذلك.

والمجتمع الإسلامي أكثر المجتمعات تعرضاً للتبشير، نظراً للمقاومة التي يلقاها المبشرون من المسلمين أفراداً قبل المؤسسات والجماعات. ذلك أن المسلم يتربى على الفطرة وعلى التوحيد، ويصعب حينئذ أن يتقبل أي أفكار فيها تعارض مع الفطرة، وفيها خلل في الجوانب العقدية وفي مخاطبة العقل ما دام يملك البديل الواضح، ومع هذا تستمر حملات التبشير على المجتمعات الإسلامية آخذة وسائل عديدة ومفهومات متجددة عن المفهوم الأساسي، وهي محاولة إدخال غير المسيحيين في المسيحية.

ومن ثم كان لزاماً على المفكرين والعلماء أن يكشفوا اللثام عن أعمال هؤلاء

المبشرين وما يقومون به من تخطيط وتدبير ضد الإسلام والمسلمين في شتى أرجاء المعمورة، بهدف إحباط هذا التدبير وذاك التخطيط وإثارة حماس الروح الإيمانية في نفوس المسلمين كي يستيقظوا من ثباتهم وينتبهوا من غفلتهم، فقد أخذت أوروبا تغزو العالم الإسلامي غزواً فكرياً عن طريق التبشير باسم العلم والإنسانية، ورصدت لذلك الميزانيات الضخمة، وذلك لتمكين دوائر الاستخبارات السياسية ودوائر الاستعمار الثقافي، وبهذا فتح باب العالم الإسلامي على مصراعيه وانتشرت الجمعيات التبشيرية في كثير من البلدان الإسلامية.

وكان معظمها جمعيات إنجليزية وفرنسية وأمريكية فتغلغل النفوذ البريطاني والفرنسي عن طريقها، وأصبحت هذه الجمعيات مع الزمن هي الموجهة للحركات القومية وأصبحت هي المسيطرة، على توجيه المتعلمين من المسلمين، أو توجيه القومية العربية، والقومية التركية لغرضين رئيسيين: الأول: فصل العرب عن الدولة العثمانية المسلمة للإجهاز عليها، وأطلقوا عليها اسم تركيا لإثارة النعرة العنصرية، والثاني: إبعاد المسلمين عن الرابطة الحقيقية التي لم يكونوا يعرفون سواها وهي رابطة الإسلام.

قد انتهوا من الغرض الأول، وبقي الثاني قائماً، وقد مرت هذه المنظمات التبشيرية بأدوار عديدة، وكان أثرها بليغاً في العالم الإسلامي، ومن نتائجه ما نعانيه اليوم من ضعة وانحطاط، لأنها كانت اللبنة الأولى التي وضعت في السد الذي أقامه الاستعمار بيننا وبين النهوض، والذي حملهم على إنشاء هذه المنظمات التبشيرية ما عانوه في الحروب الصليبية من صلابة المسلمين وصبرهم على الجهاد.

وليس هناك من سبيل أمام المسلمين اليوم إزاء تكثيف عوامل الهدم إلا العودة إلى الوحدة الجامعة بين مختلف عناصر المسلمين، والتخفيف من الخلافات

العقيدية والمذهبية والالتقاء على القرآن والسنة في إقامة نظام الإسلام الموحد كعامل أساسي في إعادة المسلمين إلى الأخوة الجامعة، وهذه العودة هي وحدها السلاح القادر على دفع مؤامرات أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين.

هذا وقد سميت الكتاب: "**الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الاستشراقي والتبشيري**" وهو يمثل ركيزة في الدفاع عن عقيدة المسلم وما يتعرض له من غزو وتحديات يقوم بها الإعلام المعادي للإسلام ورسالته السمحاء في الحياة والسلوك والمعتقد، إذ أن الحاجة إلى مثل هذه الكتابات قائمة وملحة لأن الأفكار التي يروج لها دعاة التغريب والتشريق بين الأمة الإسلامية ما زالت تواصل الهدم والتخريب في تراث هذه الأمة ومعتقداتها، حيث نجح الأعداء في خلخلة كثير من القيم والمبادئ التي يتوقف على الإيمان بها كيان أمتنا، وذلك عن طريق ترويج الأفكار الهدامة في الثقافة وأجهزة الإعلام، ومناهج التربية والتعليم ووسائل النشر وغيرها.

ويقوم منهج الدراسة في هذا الكتاب على: مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة:

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية هذا الموضوع، والباعث على الكتابة فيه، والمنهج الذي اعتزمت السير عليه.

وأما **التمهيد:** فقد عرفت فيه بالغزو الفكري.

وأما **الفصل الأول:** فقد عقدته عن "**الاستشراق وأثره على الإسلام والدراسات الإسلامية**" تحدثت فيه عن مفهوم الاستشراق، ونشأته وتطوره، ودوافعه وأهدافه، ووسائله، وأصناف المستشرقين، ثم عن أهم القضايا التي تناولها الاستشراق ثم ختمت هذا الفصل بالتعقيب والنقد للفكر الاستشراقي الذي يحاول هدم مفاهيم الإسلام في نفوس أتباعه.

وأما **الفصل الثاني:** فقد تكلمت فيه عن "**التبشير وخطره على الإسلام**"

تناولت في هذا الفصل مفهوم التبشير ونشأته، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته، ثم أردفت هذه النقاط بالتعقيب والنقد للفكر التبشيري.

وأما **الخاتمة**: فقد تناولت فيها أهم الحقائق التي توصلت إليها من خلال تتبعي ودراستي لهذا الموضوع.

وبعد:

فهذا ما هداني الله تعالى إليه في بحثي هذا، فإن كنت قد وفقت فذلك بفضل الله تعالى، وإن تكن الأخرى فعذري أنني بشر أخطئ وأصيب، والكمال لله وحده، وحسبي أنني ما ابتغيت إلا وجه الحق والصواب.

وأخيراً ندعو الله تعالى أن ينفع بهذا البحث طلاب العلم والمعرفة، وأن يرزقنا الإخلاص فيما نكتب ونعمل إنه نعم المولى ونعم المجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد بن عبد الله الرحمة المهداة.

المؤلف: أ.د. محمد المهدي

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف وجامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردنية

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه

يوم الثلاثاء الموافق 15 شعبان 1420هـ

23 نوفمبر 1999م

تمهيد

التعريف بالغزو الفكري

يواجه الإسلام حملة ضارية من أخطر حملات الحرب النفسية والتشكيك وتشويه المفاهيم والقيم، مستهدفة التأثير على أمتنا، وحملها على الاستسلام والهزيمة، مصدر هذه الحملة خصوم هذا الدين، من اليهود والنصارى، الطامعون في السيطرة. والحق أننا في حاجة دائمة إلى أن نتعرف على هذه الأساليب، وأن نكشف عن خفاياها وأهدافها وخططها وأساليبها، إذ أن هدف العدو تحويل فكرنا الإسلامي العربي عن قيمه الأساسية، وأن يدخل عليه كثيراً من الزيوف والشبهات والأباطيل، هذه الزيوف إذا ما تقبلها فكرنا واستقرت فيه، حولت مفاهيمه، وأسلمتنا إلى الخضوع للنفوذ الاستعماري، ومسخت شخصيتنا، وقضت على الذات الأصلية، ذات الوجود المستقل المطبوع بطابع الدين الإسلامي.

علينا أن نواجه هذه الخطة التي رسمها الاستعمار لاستبقاء نفوذه في عالمنا الإسلامي، هذا النفوذ الذي لا يبقى إلا إذا تحطمت القيم الأساسية لأمتنا الإسلامية، وحلت محلها قيم أخرى، تجعلنا أكثر استسلاماً وضعفاً، وسلاح هذه الخطة هو هدم مفاهيمنا في اللغة العربية، والإسلام، والتراث عن طريق الشبهات المثارة والمذاهب والتيارات الهدامة.

فهمتنا إذن: تصحيح المفاهيم وتحرير القضايا من شبهات الاستعمار والتبشير والاستشراق، وأن ندفع بقوة وعزم حملة الغزو الفكري، ولا ندعها تدمر قيمنا وعقيدتنا حتى نقع صرعى للغزو الفكري المسموم، الذي هو أخطر بكثير من الغزو العسكري.

مفهوم الغزو الفكري:

إن هذا المصطلح لم يسمع به قبل القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري، ولكن ليس معنى عدم وجود المصطلح، أو عدم استخدام المصطلح، قبل القرن العشرين أن معنى الغزو الفكري ومفهومه، وموضوعه، لم يكن موجوداً، لأن المستقرئ لأحوال الأمم والشعوب، يجد أن مفهوم الغزو الفكري كان موجوداً في القديم والحديث.

وكلمة "**الغزو**" في اللغة العربية تعطي معنى: القصد والطلب والسير إلى قتال الأعداء في ديارهم، وانتهابهم وقهرهم[1].

و"**الغزو الفكري**" مصطلح قصد به: "إغارة الأعداء على أمة من الأمم، بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية، وعزائمها ومقوماتها، وانتهاب كل ما تملك"[2].

وبهذا يظهر ما بين المصطلح واللغة من صلة، حيث أن كلمة "الغزو" استعملت في معناها، وهي الإغارة على أمة من الأمم للاعتداء عليها، وانتهابها، ولكن عن طريق الفكر، وتدمير القوى المفكرة فيها، وهذا ما أشارت إليه كلمة "الفكر" التي تطابق معناها في العربية معناها في الاصطلاح[3].

وبذلك يتضح لنا: أن الغزو الفكري مهمته تصفية العقول والافهام، لتكون

---

(1) القاموس المحيط، للفيروز آبادي 362/4 فصل الغين باب الواو والياء، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م، وقارن مختار الصحاح، للرازي، ص417 ط: بيروت 1989م.

(2) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق يوسف الراعي، ص680، ط: دار الوفاء، المنصورة 1408هـ.

(3) المصدر السابق، ص681.

تابعة للغازي، بينما مهمة الغزو العسكري القهر وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة.

ويمكن أن يقال: إن المصطلح استعار كلمة "الغزو" لما بينها وبين الغزو في الحرب من علاقة في نهب الشعوب وتدميرها والسيطرة عليها، ويمكن أن يقال: إن مصطلح "الغزو" مجاز على التشبيه بالحرب الفعلية في: التدمير والتخريب والانتهاب والسيطرة على الشعوب، ولهذا شاع استعمال هذا المصطلح واضرابه من المصطلحات التي تدل دلالة واضحة على هذا المعنى، وتدور في فلكه"[1].

وبهذا يتضح أن هناك "غزو فكري" يعمل لإذابة الشعوب وانسلاخها عن عقائدها، ومذاهبها، وحضاراتها، لتصبح مسخاً شائعاً تابعاً لغيره، يؤمر فيطيع، ولقد عمل هذا الغزو على تضليل المجتمعات الإنسانية وخداعها والتمويه عليها وقلب الحقائق وتشويه الحقيقة عن طريق زخرفة القول، والدخول إلى المخاطب من نقطة الضعف، والاستغفال لإغرائه، والإيقاع به والإيحاء إليه بسلامة الفكرة، وصحة المفهوم المزيف الذي تحمله كلمات الغزو.

ولكم تهاوت أمم وشعوب وأجيال، وتساقطت في هاوية الضلال والانحراف والفساد الخلقي والعقدي، والاجتماعي بسبب تصورات الغزو المزخرفة الخداعة التي يرقص السذج والجهال على نغم إيقاعها، ويفتتون بسماعها وأناقة ظاهرها[2].

إن هذا الغزو الفكري قد مورس ضد الإسلام منذ زمن بعيد، ومع هذا بقي الإسلام، وسيبقى بإذن الله – تعالى – لكن طبيعة العصر الذي نحن فيه؛ وما طرأ

---

[1] نفس المصدر، ص681.

[2] الغزو الفكري في التصور الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص14-15، ط: الأزهر 1414هـ.

عليه من وعي الشعوب وحساسيتها ورفضها للغزو المسلح، جعل "الغزو الفكري" هو الأسلوب الأكثر ملائمة لتحقيق الأهداف ذاتها دون إراقة دماء ودون اضطرار إلى استخدام الجيوش فبالغزو الفكري تتم خديعة الشعب المطموع فيه عن حقيقته وعن أهدافه، وتنعدم أمامه الرؤية الصحيحة للأحداث والحقائق فلا يحسن التمييز بين عدو وصديق، وهذه هي أكثر الحالات ملاءمة لاحتوائه بهدوء في القبضة الغازية.

ولقد كان للغزو الفكري في كل جيل، وفي كل عصر دوره التخريبي في حياة الناس إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعاً كان فيه للغزو الفكري خبراء ومتفلسفون وأجهزة ومؤسسات كعصرنا الحاضر هذا، الذي اتخذ فيه الغزو الفكري صبغة الفلسفة، والنظرية والمبدأ، الذي يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه وينقادون له"[1].

وبذلك أصبحت قضية "**الغزو الفكري**" اليوم من أشد القضايا خطراً، وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر في قلوب وعقول كثير من المثقفين في هذا العصر واضحة بينة، والسلاح الذي يستعمله الغزو الفكري مدمر قتال، يؤثر في الأمم والمجتمعات أكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة، وقد ينزل إلى الميدان ويعظم خطره حين تخفق وسائل الحديد والنار في تحقيق الهدف والوصول إلى الغاية، وخطر الغزو الفكري أكثر بكثير من قتل الأفراد، بل من قتل جيل بأسره، إذ يتعدى ذلك إلى قتل أجيال متعاقبة، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم والخديعة في العرض[2].

وقبل أن نضرب الذكر صفحاً عن مفهوم "**الغزو الفكري**" نريد أن ننبه إلى

---

[1] في الغزو الفكري، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص2، كتاب الأمة، ط: قطر 1994م.

[2] المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري، إبراهيم النعمة، ص7، ط: العراق، 1986م.